الأدب العفيف

بقلم: د . احمد عطية السعودي
الاردن

إن التعبير الفني عن عاطفة الحب وغريزة الجنس ينبغي أن يؤكد المكانة السامية لهذه العاطفة المغروسة في فطرة الإنسان منذ خلق كما قررها الخالق سبحانه : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿٢١﴾ (الروم) وأن يحيطها بالاحترام والاحتشام لتنمو في رياض الحلال، وتسقى بماء العفة والحياء، وليس كما تصورها وسائل الإعلام مادة حية متجددة للهو والتسلية والحرام، وعالما مليئا بنزعات الجسد وشهوات الشيطان[1]، و أن تتجلى في التعبير الفني النظرة الشاملة المتوازنة التي تقوم على أساس أن الجنس غريزة من غرائز الإنسان، وطاقة من طاقاته التي يجب أن تصرَّف وينتفع بها في إطار الدور المحدد لها لتحقيق أهدافها السامية وهي :

١- عقد أواصر المودة والرحمة بين الرجل والمرأة.
٢- تكوين الأسرة موطن الراحة والاستقرار ومصنع الأجيال، ومبتعث المسؤولية.
٣ - استمرار النوع، وتكاثر النسل وعمارة الحياة.
٤- تحقيق النفعين الحسي والنفسي للإنسان من إفراغ الشحنة الجنسية [2].

وأن يشحن التعبير الفني لذي القلم المبدع بالطرائق الصحيحة للإشباع الجنسي من خلال التحذير من الزنا وارتكاب الفواحش وتجنب الاختلاط والتمسك بالعفة والفضيلة. ودعوة المراهقين والشباب إلى ملازمة الصيام لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج[3]، وترغيبهم في الزواج وإظهار محاسنه لا كما تصوره كتب الأدب الرخيص سجنا مظلما، وقيدا شاقا، وحجرا على الحرية . ودعوة المحصنين والمحصنات إلى رعاية العلاقة الزوجية وتعهدها بالمحبة والوقاية والتعاون على البر والتقوى، لا كما يدعو أدباء الفتنة والرذيلة إلى الخيانة الزوجية، ولقاء المحرمات .

وليحمل التعبير الفني أنوثة المرأة على جناح الحشمة والعفاف، ويحلق بها في سماء المؤمنات الصالحات في آي الذكر الحكيم، ويعبر عن مشاعرها بالإشارة اللطيفة، والذوق الرفيع، والحس المرهف .

وليكن دأبه إهداءها ثوب الالتزام متأسية بأمهات المؤمنين ونساء السلف الصالح لتبتعد عن التبرج الذي صار فتنة العصر، وهوى سيطر على النفوس، واستعبد القلوب، وأعمى البصائر، فأباحه المارقون، وانتحلوا له المعاذير، واختلقوا له المزايا ليبرروه [4].

ولا يعدم القلم الأمين أن يجد النماذج الرائعة التي يستلهمها في تعبيره عن المراودة الجنسية، فله في سورة يوسف المثل الأعلى في الأداء الفني المعجز الذي ينتصر للعفة في مواجهة الثورة الغريزية الجامحة، ويحرك في النفس مشاعر الاستعلاء على الفاحشة، ويحبب إليها الطهر والنقاء، ويصور هذا الإنسان بطلا للثبات على الإيمان، أمينا على زوجة العزيز، شهما شريفا ذا مروءة يرضى بالسجن، ولا يرضى بلذة المعصية ومتعة الفاحشة : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴿٢٣﴾ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴿٢٤﴾ (يوسف) .

ولا ينبغي أن تطغى هذه النزعة على أدب ذي القلم المبدع، أو أن تشغله عن السعي إلي الجد وبلوغ المجد أو إشغال جمهور القراء عنهما، وما أحلى قول الإمام الشافعي في هذا المعنى :

سـهـري لتنقـيح العلوم ألذ لي
من وصل غـانيـة وطيب عناقِ
وصرير أقلامي على صفحاتها
أحلى من الدوكـاء والعـشـاقِ
وألذ من نقـر الفـتـاة لدفـهـا
نقـري لألقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لحل عـويصـة
في الدرس أشهى من مدامة ساقِ
أ أبيت سـهـران الدجى وتبيـتـه
نومـا وتبغي بعد ذاك لحاقي؟![٥]

وعجبا لأدباء الغرام والنوم والأحلام يخدرون المشاعر، ويثبطون العزائم، وديدنهم الدعة والركون إلى المتعة، وغاية مضمونهم الأدبي الدعوة إلى تنسيق الزهور ! في أخطر عصر يمر على الأمة، ويعتدى فيه على الحمى، وتهان المقدسات، ويستذل الرجال، وتسبى الحرائر[٦].

ولكن الأديب الأصيل يترفع عن الانزلاق في حمأة الشهوة وبؤرة الفساد، ويرنو نحو تخليص الأمة من محنتها بقلمه الذي ينقلب إلى بندقية في ساعة الشدة إذا حمي الوطيس:

سـاعلتني في حـمـانا ظبـيـة
أتحب الشـوق في عين صـبـيـة؟
قلت لا أعـشق طرفـا ناعـسـا
وخـدودا وشـفـاها قـرمـزية
إنما أعـشق صـدرا عـامـرا
يحـمـل الموت ويزهـو بالمنيـة
أدركت سـري وقـالت ظبـيـتي:
أنت لا تعـشق غـيـر البندقـيـة[٧]

إن الأديب الأصيل الجاد هو وحده القادر على دفع أباطيل الأدب الخليع، وإنقاذ الأجيال من براثنه، والذود عن الشرف الرفيع، ورد فتنة التغريب والحداثة كما يقول د. عبدالقدوس أبو صالح :

يا أيها الأدباء أضحى الفن بالإيمان جحدا
يا أيها الشعراء صار الشعر للتزييف ندا!
كم من ضلالات الفنون تزيد في التضليل بعدا
والجنس في الآداب يهدم ما ابتغاه الدين وأدا
صوغوا على اسم الله من أجيالنا للحق جندا
وعلى مصابيح النبوة يمموا الهدف الأسَدا[٨].

وهو وحده القادر على إجراء ماء العفة في جداول الأدب وروافده ليدفع الزبد الجافي والغثاء الطامي الذي ران على قلوب المعجبين والمعجبات بأدب التائهين:

أدب التـائهين ليل وخـمـر
بين كـأس مـحطم أو غـيـد
حين يغفو القعيد في خدر
السكر لخصر مهفهف ونهود
أدب ذل في الفـجـور ونامت
بين أحضانه جفون العبيد
يتـوارون خلف سـحـر شـعـار
كـاذب أو زخـارف ووعـود
سـوف يفنى مع الزمان ويبقى
أدب الحق شعلة في الوجود[٩]

لقد آن الأوان أن تُسَل الأقلام من مداد الجنس المتعفن لتسلم الأجيال من الخناجر المسمومة المغروزة في جوانحها، ويطلق سراحها، وتنزع أغلالها لترى الجمال الساحر وتسمع أغاريد العائدين من ذرى الشواهق، وتشم روائح الكلم الزكي المضمخة بأرج البطولة والشرف. ■

الهوامش:

(١) عبدالرحمن واصل، عاطفة الحب بين الإسلام ووسائل الإعلام، ط١، دار الشروق، جدة، السعودية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٩-٢٠.

(٢) فتحي يكن، الإسلام والجنس، ط١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٣-٢٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٩ - ٣٩.

(٤) حرم محمد رضا، التبرج، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت- دار الفكر، دمشق، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م، ص ٣٦-٣٧.

(٥) ديوان الشافعي (٢٠٤هـ) جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، ط٣، دار الجيل، مؤسسة الزعبي، بيروت، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٤م، ص ٦٣-٦٤.

(٦) انظر على سبيل المثال ما حل بمسلمي البوسنة، في كتيب المجلة العربية « أيام العار » كتبها : جون سوين، وترجمها منصور الخريجي، ع٩، رمضان ١٤١٨هـ/يناير ١٩٩٨م.

(٧) يوسف العظم، رباعيات من فلسطين، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣/م، ص٣٠.

(٨) رابطة الأدب الإسلامي، من الشعر الإسلامي الحديث، دار البشير، عمان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٩) د. عدنان علي رضا النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط٢، دار النحوي، الرياض ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣٣٦.